مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي
ISSN 1112-9255
المجلد8،العدد1 – مارس 2021

OEB Univ. Publish. Co.

الرواية والرسم "انفتاح وتداخل" رواية "حائط المبكى" لعز الدين جلاوجي أنموذجا

The novel and and Painting Art "Openness and Interference" The novel "The Wailing Wall" by Azzeddine Djelaoudji, as a model

أ .إلهام سناني*، جامعة سكيكدة ، الجزائر
ilhem.Senani@yahoo.com

تاريخ التسليم:(2020/10/26)، تاريخ المراجعة:(2020/11/03)،تاريخ القبول:(2020/12/03)

ملخص :

تمردت الرواية اليوم على فكرة نقاء النوع فانفتحت على كافة أشكال التعبير اللغوية وغير اللغوية، وتحاول هذه الدراسة مقاربة هذا التداخل في الرواية الجزائرية التي أصبحت تتمتع بقدرة كبيرة على احتضان العديد من الأنواع الأدبية، وكذلك الفنون لتخلق لنا مزيجا بين ما هو شعري وتشكيلي وأسطوري وتاريخي وسينمائي وغيرها. لذا تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن هذا التداخل في إحدى النصوص السردية الجزائرية، وهي رواية "**حائط المبكى**" لعز الدين جلاوجي، هذه الرواية التي تعد إضافة إلى المنجز الروائي الجزائري بما تحملة من سمات حداثية تتخطى المنجز الروائي التقليدي من خلال محاولتها الانفتاح على مختلف الفنون،خاصة فن الرسم .

الكلمات المفتاحية : حائط المبكى؛ الفن التشكيلي؛ الرسم بالكلمات؛ الرواية؛ اللوحات الفنية .

Abstract :

The novel today rebelled against the idea of gender purity and opened to all forms of linguistic and non-linguistic expression. This study attempts to approach this overlap in the Algerian novel which acquired a great capacity in embracing many literary genres as well as the arts to create a mixtures between whatis poetic, plastic, mythical, historical, cinematic…etc Therefore, this study aims to reveal this overlap in the novel "The Wall of Wailing" by Izz al-Din Djelawji, which is an addition to the Algerian novelist's achievement, with its modernist features that go beyond the traditional achievement through its attempt to open up to various arts, especially plastic art.

Key words: Wailing Wall; Plastic Art; Word Painting; Novel ; Artistic Paintings .

* المؤلف المراسل: أ .إلهام سناني ،الإيميل: ilhem.Senani@yahoo.com

مقدمة:

شهدت الرواية اليوم تحولات كثيرة فقد عملت على تحطيم الشكل التقليدي الكلاسيكي، حيث استطاعت أن تستوعب مختلف الأجناس الأدبية والفنون(الشعر، المسرح، الرسم، الموسيقى، السينما، ...) وقد عرفت هذه الظاهرة في الدراسات النقدية المعاصرة بتراسل الفنون حيث تعدى الفن الروائي اليوم من تداخل الأجناس إلى تراسل الفنون لتنفتح على كل الفنون البصرية والسمعية .

لذا تحاول هذه الدراسة مقاربة هذا التداخل والتراسل في إبداع جزائري معاصر تمثل في رواية " حائط المبكى" لعز الدين جلاوجي، هذا العمل الذي تميز بلغته الراقية ومرجعياته الثقافية المتنوعة، ليكون مجالا خصبا حيث استثمر فيه الكاتب تداخل فنون مختلفة في صياغة قالبه السردي .

لقد انزاحت رواية " حائط المبكى" عن اعتيادية الرؤية والتشكيل القديم متضمنة فن الرسم محققة بذلك زحزحة جمالية على مستويات متعددة، لذا نحاول من خلال دراستنا الكشف عن هذا التداخل والتلاقح الفني وهذا ما دفعنا إلى طرح التساؤلات الآتية:

كيف استلهم الروائي تقنيات فن الرسم؟ وما هي حدود تعالق الخطاب الروائي مع فن الرسم؟ وما هو المشترك بين المبدع الرسام والمبدع الروائي؟ وكيف أثر فن الرسم في الرواية في شكلها الفني والمضموني؟ وما هي النتائج الفنية التي يهديها فن الرسم للرواية؟

علاقة الأدب بالفنون (الرواية والرسم):

شغلت قضية البحث في تداخل الأجناس الأدبية الكثير من الدارسين حيث تعددت دراساتهم واجتهاداتهم في هذا المجال فتنوعت آراؤهم وتنامت جهودهم لتفضي في النهاية إلى ما يعرف ب " نظرية الأجناس الأدبية " التي لم تكتمل كنظرية أدبية إلا بعد ما مرت بمسيرة تاريخية ابتداء من أفلاطون الذي نظر للجنس الأدبي من خلال كتابه " الجمهورية " وكذلك تلميذه " أرسطو " من خلال كتابه "فن الشعر " وصولا إلى العصر الحديث والمعاصر مع " ميشال بوتور " و" ميخائيل باختين " ....

وفي الواقع إن التداخل والتفاعل بين الأجناس الأدبية والفنون ليس جديدا على المستويين الإبداعي والنقدي فقد عرف تراثنا العربي القصة الشعرية والمقامة والسيرة الشعبية وهي فنون جمعت ما بين السرد والشعر كما عرف الأدب الغربي التراجيكو ميديا والمأساملهاة والرواية الكوميدية والسيرة النقدية .... وغيرها (شيفر،1997،ص59) .

وفي إطار الانفتاح والتفاعل المتبادل بين الأدب والفنون بدأ يتلاشى مفهوم نقاء النوع أو النوع واضح المعالم في نظرية النوع الحديثة لأنها " وصفية بكل وضوح فهي لا تحدد عدد الأنواع الممكنة ولا توصي الكتاب بقواعد معينة ، فهي تفترض أنه بالمستطاع مزج الأنواع التقليدية وإنتاج نوع جديد ...على أساس الشمول أو الغنى كما كانت تبنى على النقاء وبدلا من التشديد على التمييز بين نوع ونوع ... فإنها تهتم بإيجاد القاسم المشترك في كل نوع على حدة وإظهار صفاته الأدبية المشتركة وهدفه الأدبي (أوستين وارين ورينيه ويليك،1987،ص247).

إن الفنان يستمد أدواته الإبداعية من صميم الجمال الذي يحيط به، وهنا يحدث التلاعب بين قطبين لتتولد عنهما حرارة يمثلها العمل الإبداعي في استقلاليته وفرداته خاصة إذا انتهج الفنان أسلوب غيره من الفنون وداعب طبيعتها المفارقة، فعندئذ يصبح التوحد أو المزاوجة بين عمليتين تكتنفهما خصائص مختلفة أو متشابهة، من شأنه أن يخلق مولودا جديدا تغديه لغة ترسمها انفعالاته و صوره و أساليب تمظهره و كلما كان المنتوج الجمالي مفارقا للعادة كلما أحدث صدى وتأثيرا .

إن تلاقح الأدب بالفنون يؤدي بنا إلى الإشارة إلى تجسيد روائع الفن العالمي مثل الفن التكعيبي وفن المنمنمات وفن الدادية ... وغيرها من الفنون في العديد من الأعمال الإبداعية (شعر، نثر) كونها " رسوما مصغرة تحلي الصفحة، وتضيء النص المكتوب وتحاول إيضاح ما التبس منه بغية الوصول إلى هدفه وغايته.(بشير،2009 ،ص190) . كما أن الفنان " الذي يقع تحت تأثير الانفعال الجمالي، لا يقوم بمجرد النقل، أو النسخ للجمال الماثل أمام عينيه...بل يعيش هذا الفنان حالة " حمل " معقدة يتم فيها الحوار بين المواد المستخدمة وبين الانفعال فيتشكل العمل الفني...حتى يصير الكل منتوجا جماليا متفردا ، ومتميزا " (بشير،2009،ص137) .

تعد الرواية من أهم الأنواع الأدبية التي استطاعت أن تحقق وجودها كجنس أدبي يضاهي بقية الأجناس الأدبية،إذ أثبتت في كل مرة أبرز خاصية تتميز بما هي قدرتها اللامحدودة على الانفتاح على كل الأنواع الأدبية بأشكالها الكثيرة والمعارف والخطابات تناسبا مع إيقاع الحياة الحاضرة وتحولات الواقع السريعة (نورة بعيو،2015،ص 494) والكثيفة مما جعل الباحث " جان ماري شيفر " يرى أن الانتماء إلى جنس أدبي ما يلزم إجبارا ببقاء النص الإبداعي في حدود ما تفرضه قواعد، بل كل نص روائي يعمل على تحويل نوعه كما يمكنه أن يتعالق مع نص آخر أو جنس آخر "(sheffer,1986,197) .

فالرواية لها قدرة الاحتواء والامتصاص ورفض الحدود بين الأجناس الأدبية والفنون " فالشكل الروائي يتميز بالانسيابية والمرونة، ومن تم يغدو قادرا على استلهام أدوات فنية من الفنون الأخرى كالشعر والدراما والسينما والتراث الأدبي الشفاهي وهو بمزجه بين الأساليب المتنوعة وصهرها في بوتقة السرد، يتميز عن سائر الأنواع الأدبية بقدرته الفائقة على التمرد على الحدود والقواعد، وعلى ذاته أيضا (عزيز ماضي، 2008، ص37) .

وعليه فإن الكتابة الروائية الرائدة هي التي تعيش ارتحالا دائما ومستمرا ، تنتزع وجودها من اختراق مفاهيم التنظير النقدي الذي لا يعرف الثبات ويجتهد لتحديد النوع وضبط عناصر نسجه فتكتسب ملامح هويتها بشكل تدريجي بعيدة عن كل تعريف ومخترقة عدة أجناس وحدود الفنون و العلوم الأخرى ، ودائما لا تزال تبحث عن آفاق أخرى لتعيش قلقا مستمرا وفوضى مشروعة وحتمية تتناسب وطبيعة الإبداع الروائي (بوشوشة،2003،ص ص74، 75) .

وفي ظل هذا الانفتاح أصبحت الرواية لا تمتلك شكلا محددا وقواعد محددة، فأصبحت هناك الرواية الشعرية والرواية السير ذاتية والرواية التشكيلية والرواية الموسيقية ... وغيرها من المصطلحات المشتقة

من تعالق الرواية مع جميع الأنواع والأجناس والفنون، وهذا ما جعل بعض النقاد يطلقون على الرواية تسمية (النص الجامع) حسب جيرار جنيت أو النص الهجين أو النص المفتوح، مما جعلها تدخل في إطار الحيوية بمفهوم ميخائيل باختين والتناص أو التفاعل بمفهوم جوليا كريستيفا (عليان،2000،ص ص52،53) .

إن التجربة الروائية الجزائرية اليوم أصبحت تتمتع بقدرة كبيرة وواسعة في احتضان العديد من الأنواع الأدبية وكذلك الفنون لتخلق لنا مزيجا بين ما هو شعري وتشكيلي وأسطوري وتاريخي وسينمائي ... وغيرها.

في هذا الصدد تطالعنا أعمال الروائي الجزائري " عز الدين جلاوجي " حيث نجد أن أغلب أعماله مشبعة باستحضار طقوس الفنون المتنوعة وترانيمها التي تسمو بالرواية وتلفها بهالة إبداعية مميزة، ومن أهم تلك الأعمال رواية "حائط المبكى "، لذا سنحاول سبر أغوار هذا العمل الإبداعي بغية الإجابة عن التساؤلات المطروحة وفي محاولة لتحديد طبيعة هذا التلاقح والوقوف عند مظاهر التأثير والتأثر وتجلياتها.

ملخص الرواية:

تنفتح رواية " حائط المبكى" لعز الدين جلاوجي بسحر الحكاية المؤججة بالتخييل الفني لتجد خرقا في أفق التلقي بغية جذب القارئ وإقناعه بنوعية المادة القرائية، في ظل امتزاج الفن الروائي بالفن التشكيلي حيت قدمها الروائي في قالب يزخر بحزمة من الأنساق الثقافية تغوص بالقارئ في أعماق النفس البشرية وعوالم الفنون الراقية فاتحا شهية القارئ على القراءة والتأويل.

تنطلق أحداث الرواية بجريمة قتل أمام مرأى بطل الرواية لتترسخ هذه الجريمة في مخيلته، وهو الرسام الفنان الذي يعشق عديد الفنون والحب والجمال، تؤثر هذه الجريمة في حياته فيصبح إنسانا خائفا مقهورا مضطربا قلقا يعيش حياة ملؤها التناقضات بين الخوف وبشاعة القتل وبين عوالم الفن الراقي، يقع هذا الفنان في حب فتاة سمراء وهي كذلك فنانة تشكيلية عاشقة للفن والتراث الفلكلوري لمدينه وهران مسقط رأسها، لينتهي هذا الحب بالزواج والإنجاب، لكن مرض سمراء الكاتب يحيل بينهما ليحدث الفراق، و هذا ما يؤدي إلى ضعف نفسيته فتنهار ذاته ليلجأ في الأخير للعالم الافتراضي تعويضا عن الفقدان ورغبات النفس الجامحة لتنتهي الرواية بنهاية مفتوحة .

إن السارد لأحداث الرواية هو نفسه الشخصية المحورية نظرا لاستعمال ضمير المتكلم " أنا " الذي يحيل على الذات المباشرة ،حيث عد هذا الضمير أكثر قدرة على تجاوز الفروق الزمنية والسردية بين السارد والزمن جميعا، فتكون أحداث الرواية لصيقة ومندمجة بروح المؤلف، حتى يخيل للقارئ أن المؤلف هو الشخصية التي تنهض عليها الرواية، وتظهر أهمية استعمال هذا الضمير في استطاعته التوغل في أعماق النفس البشرية وتعريفها والكشف عن نواياها بحق، فتقدم أحداث الرواية للقارئ كما هي لا كما يجب أن تكون، فيصبح العمل الروائي بأكمله يدعو إلى التشويق فتزيد في القارئ تعلقا وأكثر تشوقا

(مرتاض، 1998، ص ص 159، 160) .

حضور فن الرسم في الرواية :

تعد الرواية من بين الأنواع الأدبية الأكثر انفتاحا فهي في كل مرة تعمل على خلخلة النمط القديم لتخلق لنفسها ثوبا جديدا، وقد ساعدها في ذلك طبيعتها المرنة التي تقبل الانفتاح دوما على كافة أشكال التعبير سواء أكانت اللغوية منها أم غير اللغوية، وفي هذا الصدد يطالعنا الروائي عزالدين جلاوجي الذي يعد أحد أهم المبدعين في ساحة الكتابة الروائية الجزائرية الحداثية، وذلك من خلال روايته " حائط المبكى " هذه الرواية بما انطوت عليه من تداخل الفنون الأدبية كالشعر .... إلى جانب أشكال فنون التعبير غير الأدبية كالرسم والموسيقى محاولا بذلك خلق نموذج جديد لرواية أكثر تفردا .

تعتبر رواية حائط المبكى لعز الدين جلاوجي عملا روائيا تمرد على أصول الرواية والسرد التقليدي فقد عمل على هدم البنية التقليدية فعمد إلى تضمين عمله الروائي فنون التعبير غير الأدبية التي أعطت للرواية بعدا جماليا، كما عمل على سبر أغوار وأعماق القارئ فعمل على نسغ التكوين الوجداني للشخصية بما يضيء الموقف .

يعد العنوان العتبة الأولى في النص، ويمثل العلامة السيميوطقية التي تقوم بوظيفة الاحتواء لمدلول النص إلا أن العناوين تتباين فيما بينها " فمنها ما يأتي مباشرا يحيل على محتوى العمل الأدبي ككل خاصة الحامل لأسماء بشخصيات توجد في النص أولها دلالتها على مستوى البعد التاريخي والسياسي والاجتماعي، أما غير المباشر فتركيبه مجازي استعاري بحكم الشاعرية التي يتسم بها العنوان " (حسين حسين، د.ت ،ص163) .

وبالعودة إلى الرواية نجد أن الروائي قد اختار عنوانا غير مباشر مراوغا به القارئ، إذ لا يمكن الإمساك به لفظيا، حيث لا نشهد له حضورا فعليا في الرواية بل على القارئ استجلاؤه من ثنايا النص وذلك تعبيرا منه عن واقعه المبعثر، من خلال تناصه للعنوان في حد ذاته الذي " سيكشف أي هوة يشرف عليها وأية أنسجة تلتوي وتتداخل في نسيجه، وأي عناق يمارس مع النصوص والعناوين السابقة والمعاصرة له " (جلاوجي،2017،ص25) إن أول ما يتبادر إلى ذهن القارئ بمجرد سماع هذا العنوان "حائط المبكى " يحيله مباشرة إلى المكان المقدس سواء عند المسلمين أم عند اليهود وإن اختلفت تسميته، فالمسلمون يطلقون عليه " حائط البراق " لأن النبي الكريم في رحلته قام بربط دابته... بحلقة في هذا الحائط وهو أحد جدران المسجد الأقصى، ولكن اليهود فيزعمون أن هذا الحائط جزء من هيكل سليمان وأطلقوا عليه تسمية حائط المبكى نظرا للطقوس التي يقومون بها من عبادة ونحيب وبكاء، كما نجد أن الروائي قد تبنى تسمية "حائط المبكى " لأنه يتوافق وحالته النفسية، فالراوي يعيش كل هواجسه وقلقه وعشقه من خلال تشكيل لوحاته حتى أصبح الرسم حائط مبكاه " دوما كنت أتغلب على صعاب الحياة و خيباتها بالرسم، ألج محرابه لأتطهر من أدران الحياة ومآسيها، أصب في اللوحة كل آلامي آمالي كل أحلامي وانكساراتي، أقضي الأيام بلياليها في صومعتي هذه " (جلاوجي،2017،ص15) لقد عشق

الراوي الفن حتى أضحى متنفسه وعشقه وهذا العشق يذكرنا بأسطورة بيجماليون الذي نحت تمثالا وعشقه ، وبالتالي فالرسم والتشكيل بالنسبة إليه " أحاسيس ومشاعر وروح ترفعك إلى أعلى تغوص بك إلى الأعماق تكشف لك مجاهيل الحياة " (جلاوجي،2017،ص15) .

قبل أن نخوض في مسألة استعانة الخطاب الروائي بالنموذج التشكيلي وهو فن الرسم نحاول التعريف بالفن التشكيلي تعرف الفنون التشكيلية بأنها ذلك التحويل " في استخدام مجموعة من المواد المختلفة المادية تحديدا التي لم يكن لها معنى قبل أن يستخدمها الفنان، وإن الفنان بتشكيله الخاص لهذه المواد الحيادية في ذاتها أو المفتقدة للمعنى، يسبغ على هذه المواد قيمة مغايرة لم تكن لها، والأهم أن يطبعها بطابعه الإنساني ويسمها بميسمه الإبداعي الخاص الدال عليه والمعبر عن قيمته في لحظة تاريخية معينة ، وظرف اجتماعي بعينه " (عبيد،2005، ص ص 45، 46) .

وبالتالي تتحول تلك الخطوط والألوان إلى وحد قيمية متناسقة ومنتظمة إلى لوحة فنية ذات أنساق دلالية تحمل أبعادا ومدلولات تترجم أحاسيس الفنان وتفتح المعنى على المتعدد..

ونظرا للزخم الفني الذي تزخر به الرواية تخال أن كاتبها رسام موهوب ومحترف وعلى دراية بعالم فنون الرسم والتشكيل سواء العربي أم الغربي .

3-1- الرسم بالكلمات :

توصف عادة الرواية بأنها لوحة مرسومة بعناية من قبل كاتب ينتحل دور الرسام في التقاط التفاصيل، بحيث تقوم هذه التفاصيل بنقل المشاهد التي يريد تصويرها و إيصالها إلى المتلقي في شكل صور ولوحات فنية متخيلة .

لقد وظف الروائي اللغة السردية لغاية فنية فتشكيل الصور عنده تأخذ أبعادا مختلفة تجعلنا نضيع في دوامة التخييل برسم المشهد بكل تفاصيله، فعبر كل صفحات الرواية تقريبا إلا ونجد أنفسنا أمام توالي الصور الفنية والمشاهد التخييلية، فقد تفنن الروائي عبر متخيله الواسع وبطريقته الفنية في تشكيل العديد من الصور الفنية الحسية عن طريق تمثل الروائي للغة خاصة تعتمد على التكثيف الدلالي للكلمات لترتسم في الأخير في ذهن القارئ على شكل صور يراها عبر خياله، لقد مارس عز الدين جلاوجي ما يعرف بالرسم بالكلمات شأنه شأن كتاب الرواية الجديدة " الذين يمارسون الرسم بالكلمات مستخدمين الجانب التقني للوحة (الإطار، الخلفية، المشهد، المرسوم داخل اللوحة ، الكولاج ، الألوان المعبرة والموحية ....) فرواياتهم تطفح بهذه العلاقة بين الصورة واللغة، مما يجعلها لوحات سردية تتفاعل فيها الكلمة والصورة واللوحة وتتشارك في بلورة وعي بصري جديد، لقد اقترن التشكيل والرسم بالسرد وعانقه ليحرره من سلطة الانغلاق رغم اختلاف لغتهما " (لشكر، دت،ص 108).

لقد تفنن عز الدين جلاوجي عبر متخيله الواسع في تشكيل العديد من اللوحات الفنية عبر اللغة السردية في مثل وصفه لسمرائه الفاتنة قائلا :" سمرتها النظرة، عيناها السوداوان الواسعتان، وقد تغشاهما ذبول، حاجباها المعقوفان كخطاف أعياه التجديف في الفضاء البعيد، أهدابها الأشبه بجناحي فراشة

سوداء ناذرة ، شعرها الحالك الذي عصمته بخيط أبيض طويل، ابتسامتها البريئة التي ظلت توزعها على كل من يحييها أو حتى يمر قريبا منها شفتاها اللتان كانت تداعب بهما فنجان القهوة الساخن، ملابسها الخريفية الأنيقة كل ذلك ظل يحاصرني، يسرقني من عشرات الملامح المختلفة " (جلاوجي،2017، ص07).

كما تواجهنا العديد من اللوحات السردية التي قامت على توصيف العديد من شخصيات الرواية وأماكنها ولدقتها تخال أن كاتبها مصور فوتوغرافي بارع .

كما يقوم الروائي بالحديث عن الألوان بطريقة غير معتادة حيث يسلك طريقة الرسامين في ذلك قائلا " لم أتحمس لفتحها، رميتها جانبا، أحسستها تمور غيضا، وقد تحديت إغراءها وهممت أن أعود لإتمام لوحتي، استوت الفرشاة في يدي وعانقت عيناي تفاصيل اللون الأخضر العميق الذي عانق في بعض أجزائه سوادا داكنا وحمرة قانية، لم تغادر الرسالة خيالي " (جلاوجي،2017 ،ص33) .

يعمل الكاتب على مجاورة الألوان جنبا إلى جنب أخضر ثم أسود ثم أحمر قاني، فهذه التقنية قد استعارها من تقنيات الرسامين في رسم مشهد بالكلمات.

كما لجأ إلى استعمال أساليب الرسامين الحداثية، فالرسام الطليعي يستخدم أدوات غير تقليدية في الرسم أي أنه لا يقتصر على الريشة والألوان، و إنما يعمد إلى عملية الإلصاق بأعواد الثقاب والجرائد والأسلاك وهذا ما عمد إليه الروائي في قوله " ضلت تسد علي الطريق إلى ملامح الصورة التي استعملت فيها هذه المرة تقنية اللصق، جريدة ، وأعواد كبريت، وسلك نحاسي، وقطعة غيار سيارة علاها الصدأ، كانت رغبة الاكتشاف أكبر مني "(جلاوجي،2017،ص33) .

لقد بنيت رواية حائط المبكى على لغة فنية بامتياز ، فقد عمل على صقلها و تطويعها كنحات يروم الجمال بكل أبعاده لما ينحته ، حتى امتازت بالعذوبة و الشفافية و اللطافة، وهذا ما أبان عن مراهنتها على فعل التجريب وخوض غماره، الذي استدعته ضرورات التعامل مع اللغة باعتبارها قيمة جمالية تسمو على لغة التخاطب العادي ، لقد صاغ تراكيبه وألفاظه في قالب فني يتميز بالتجاوز والابتكار عن ما هو نمطي و مستهلك ، فكل كلمة شكل منها لوحات فنية تمتح من لغة العشق للأنثى والعشق للفن(تومي ، 2018، ص305) .

3-2- اللوحات الفنية:

لقد تنوعت مرجعيات السرد عند الروائي الجزائري عز الدين جلاوجي في روايته "حائط المبكى" ففضلا عن توظيفه لبعض الفنون الأدبية، لجأ إلى استعمال بعض الفنون التشكيلية إذ يرى كونراد أن الرواية " كي تتحقق ما تصبو إليه من تأثير ونجاح عليها أن تتعلم من فنون النحت والتصوير والموسيقى كي تصل إلى الوجدان عن طريق الحواس باستخدام التشكيل واللون (صدوق،1994،ص 69) .

إذ نجد أن أهم ما يميزها هي تلك الفوضى الفنية التي أحدثها الحضور المتداخل والمتشابك لفن الرسم، والتي كانت تحدث صدمات متوالية على مستوى أفق التلقي لدى القارئ .

لقد جعل عز الدين جلاوجي من بطل الرواية رساما هاويا للرسم متشبعا بثقافات الرسامين مطلعا على كل روائع الفن العالمي يقول البطل " انصب اهتمامي مذ وعيت على التشكيل، مارست الرسم والنحت ووقفت طويلا ممتلئا إعجابا أمام روائع الفن العالمي استمعت إلى الموسيقى تنساب شلالا للعبقرية في كل الكون "(جلاوجي،2017،ص89).

وتأسيسا على هذا نجد أن الروائي يحاول إبراز سعة اطلاعه بعالم الفن بأنواعه من خلال ذكره لعديد الرسامين والخطاطين والأدباء والموسيقيين والمغنين أمثال سلفادو دالي Salvador Dali، بابلو بيكاسو P.Picasso، عمر راسم، تريستان تزارا Tristan Tazara ، مارسيل جانكو Marcel Janko ، أندري ماسون André Masson، اوليفر دينيت غروفر Oliver Dennett Grover ، بول كوكان Paul Coguin، ماري كاسيت Mary Casset،عبد الله الأطرش، ابن مقلة، عبده داغر ... .

لقد اعتمد عز الدين جلاوجي في روايته على البعد البصري كملمح تجريبي في الكتابة الروائية من خلال توظيفه لبعض اللوحات الفنية ، إذ تبنى عوالم الرواية على شخصيتين يجمعهما مكان للفن وهو مدرسة الفنون الجميلة التي شكلت بؤرة انطلاق الأحداث وتناميها ، ليتشكل كل حدث بأنامل الروائي لوحات فنية خالدة رسمت وعلقت بحائط مرسمه كما استعان بلصق بعض اللوحات الفنية العالمية على صفحات الرواية ، التي تنم عن غاية تدفع المتلقي صوب اكتشاف الوشائج الرابطة بين اللوحة والأحداث المسرودة كجانب ترميزي ملغز وصامت يحيل إلى أشياء صارخة تفتح شهية المتلقي على القراءة والتأويل ، وقد اختار الروائي من تلك اللوحات ما يتناسب وتجربته المرتبطة بالتيمات التي اشتغلت عليها روايته خاصة ما تعلق بالجانب النفسي الذي تلعب فيه الأهواء دورا كبيرا، حيث تميزت عديد الفصول بالرغبة والغبطة والحزن والقلق والخوف (تومي،2018، ص 308) .

وبالتالي لم يتوقف عز الدين جلاوجي عند ذكر أعلام الفن التشكيلي بل تعمد إلى استحضار بعض اللوحات الفنية المشهورة لفنانين عالميين مقدما من خلالها قراءته الخاصة فاتحا المجال في الوقت نفسه المجال للقارئ بأن يقرأ اللوحة وفق رؤيته الخاصة، ونجد أول لوحة يستحضرها الكاتب هي لوحة عمر راسم هذا الأخير الذي يعد من أوائل الرسامين الجزائريين الذين ساهموا في تقديم أعمال فنية رائعة وفريدة

تقوم على وصف عادات وتقاليد الحياة الجزائرية العريقة، وقد تمكن بفضل عبقريته في إثراء التراث الجزائري، وذلك من خلال الحفاظ على التقنيات الجمالية الخاصة بفن المنمنمات (انظرالتعليق رقم :1) وتنتمي هذه اللوحة إلى فن المنمنمات، وقد حرص عمر راسم في لوحته على" إظهار أدق التفاصيل، فجمع بين منظر عمراني لمسجد العاصمة الكبير، وأمامه سوق تعج بالحركة وقد انخرط فيها كل الناس على اختلافهم حتى أطفالهم ونسائهم، وفي الخلف يترامى البحر رهوا وقد عج بالسفن، ورغم الدقة التي حرص عمر راسم على إظهارها في لوحته، إلا أن ألوانه قاتمة حزينة، زرقاء وبنية وسوداء، مع سحاب مركوم فوق البحر، ولا إضاءة إلا ما انعكس من نور شمس مودع على قباب ومنارات بيضاء " (جلاوجي،2017، ص67). تحيلنا هذه اللوحة إلى التراث والهوية الجزائرية بثقافتها العريقة من خلال اللباس التقليدي والمسجد الكبير الذي يعد أقدم مسجد في الجزائر الذي يعود إلى الإمارة المرابطية خلال القرن الخامس للميلاد الذي عكس أصالة الماضي، وهذا ما كانت تحس به سمراء الكاتب عند رجوعها إلى مسقط رأسها وهران وبالتحديد منطقة عين الترك الجميلة حيث تحس بالانتماء وبالسعادة في الرجوع إلى الأصل.

كما يستحضر الجدارية المشهورة " الغورنيكا "(انظر التعليق رقم : 2) لبابلو بيكاسو التي استوحاها من قصف قرية غورنيكا الإسبانية الواقعة في إقليم الباسك من قبل طائرات إيطالية وألمانية فرسمها "بيكاسو " في لوحة تشكيلية لتكون " صرخته الغاضبة ضد الظلم النازي وضد الإبادة غير الإنسانية التي مارستها الفاشية في إسبانيا خلال الحرب الأهلية " (جلاوجي،2017،ص67) ، وقد استحضرها الروائي لتشكل فارقة مع لوحة المغربي عبد الله الأطرش التي رآها في الصويرة بالمغرب وقد عمل على وصفها بدقة متناهية " عوالم للحلم والخيال، عوالم للغريب العجيب، يطوح بك إلى أعماق أعماق الإنسان الأولى، ذكرتني بنظرية اللاوعي الجمعي ليونغ، هل أراد الفنان أن يقول ذلك؟ هل أراد أن يقول لنا أن كل الذي نحياه في يقظتنا ونومنا إن هو إلا استحضار لعوالم الإنسان الأولى كل شيء يحضر في اللوحة دفعة واحدة الإنسان والحيوان، الطبيعة والأشياء، الحياة والموت،اللذة والألم، التعاسة والسعادة، الخير والشر، كل الألوان تحضر بفطرية مدهشة، بوحشانية تلقائية تعبر على حرارة الانفعال بتناغم يحيلك على اللامنتهي، يغوص بك بعيدا عن الواقع الكاذب، الواقع الزائف، الواقع الذي توهمناه ووقعنا أسراه " (جلاوجي،2017،ص 67)، فهذه اللوحة التي تحمل مختلف الثنائيات الضدية ذكرته بلوحة الغورنيكا المناهضة " لهمجية الإنسان ضد أخيه الإنسان، المنددة بالحروب وسفك الدماء، كانت لوحة بيكاسو

استثناء في عالم الفن، والفن التكعيبي على وجه الخصوص، رماد في الألوان، ومأساة في ملامح الحيوان والبشر "(جلاوجي،2017،ص 63) .

ويتغير مسار الرواية مع لوحة الفنان العالمي اوليفر دنيت غروفر لفتاة من الشرق " وهي تغرق نرجسيتها في صفحة نحاسية اتخذتها مرآة لها " (جلاوجي، 2017،ص109) هذه اللوحة التي اتخذها لتزيين بيته الجديد بوهران وقد رأى الراوي في هذه المرأة محاكاة لسمرائه قائلا " رأيتها أحلى من فتاة أوليفر دينيت الحالمة تقوس أشد في الحاجبين، وامتداد في الرقبة، وحور بين في العينين، وامتداد عجيب في الدقن وثنية مدهشة في أسفل الوجنتين، وأسنان ضاحكة راقصة، ثم روح شباب تسري في كل مكان تفيض في كل جارحة " (جلاوجي،2017 ،ص110) .

يمكن أن تحيل هذه اللوحة إلى نظرة المستعمر الأجنبي للحضارة العربية " وقد تبرجت عن سحر الشرق بكل مافيه من تحف فنية، أقواس وأعمدة مرمرية، أباريق نحاسية، زراب وفساتين وحلي ساحرة، وجمال أنثوي مدهش " (جلاوجي،2017 ،ص109)، " فكل التفاصيل الموجودة في اللوحة تسرد لنا مدى انبهار الغرب بسحر الشرق بكل ما فيه، فما الدقة في رسم الأثاث والأواني إلا إعجاب بعادات العرب وتقاليدهم" ، فبقدر انبهاره وسعيه " لاكتشاف الجميل عندنا والتعريف به كان إحدى أدوات الاستعمار حين نظر بعينيه ورسم بأدواته " (جلاوجي،2017 ، ص110) .

كما استحضر الروائي لوحة دادية للفنان العالمي مارسيل جانكو وقد ظهر فن الدادية في أحقاب الحرب العالمية الأولى بزعامة تريستان تزارا، وقد جاءت كحركة تمرد واختراق للقوانين وارتكاز على الرؤى الحلمية والخيالات المبتكرة واللامعقول بتجاوز الواقع والاستناد إلى التشويه والخلخلة، وقد وظفها

الروائي عندما كان في صدد الحديث عن والده الرجل المتغطرس، وقد رسمه حسب رؤيته له ، حيث خص له هذه اللوحة السريالية التي تحمل في طياتها الغموض والتعقيد من خلال العبث بملامح والده قائلا " حلمت ليلا أني عثرت على لوحة سريالية بديعة، بها صورة والدي، مدججا بالنياشين، يزين رقبته عقد يقطر دما، وكانت رجله ملتصقة بأعلى كتفه، يرتفع فخده إلى أعلى، وتنثني ساقه فوق رأسه، لتتدلى قدمه فوق رأسه، لتتدلى قدمه على كتفه الأخرى، تبدي ملامحه تقززا شديدا، لعلها من رائحة حذائه العسكري، وكانت اللوحة غاية في الدقة كأنما رسمها سلفادور دالي Salvador Dali أو أندريه ماسون André Masson... بهذا الوحي الجميل،سريعا حملت عدتي أنقل اللوحة بكل تفاصيلها كما شاهدتها، وأنا أردد في قرارة نفسي، هل سأكون نبيا للفن ؟ تمردت على الوحي بوحي آخر من تريستان تزارا، فربطت أنف والدي بقدمه بواسطة سلك مفتول شائك التقطته من الحديقة، ثم لففته حول أعلى رأسه كخوذة بائسة، فكانت اللوحة سريالية دادية بامتياز " (جلاوجي،2017، ص ص35، 36).

إن فن الرسم يشكل أيقونات دلالية ذات أبعاد فنية تترجم إحساس الفنان على اللوحة تم تترجم مرة أخرى إحساس مؤلف الرواية لذلك أراد المؤلف أن تكون رواية متميزة بإضفاء الفن التشكيلي عليها" بذلك تتحقق مقولة أن الرواية هي الفن الأمثل لممارسة حرية الكتابة بمعناها المطلق بسبب مرونة هذا الجنس والمشروعية التي أباحتها لنفسها من أجل الاستيلاء على كافة التآليف الثقافية المعروفة واستثمارها لصالحها كالشعر والتاريخ والتفكير الفلسفي والوصف الجغرافي والتحليل النفسي والرسم والتصوير... " (صالح،2003، ص192) .

خاتمة ونتائج الدراسة:

من خلال دراستنا للرواية رأينا أن فن الرسم كان حاضرا معجما وشكلا وصورة، ليطرح أمام متلقيه مجالا واسعا من التأويلات من خلال الأشكال والألوان وأدواته الأخرى ، تبقى كل هذه الوسائل مجالا رحبا لتتنفس في فضاء أرحب هو فضاء اللوحة التشكيلية، لتوصف هذه الرواية بأنها لوحة مرسومة بعناية من قبل كاتب ينتحل دور الرسام في التقاط التفاصيل، بحيث تقوم هذه التفاصيل بنقل المشاهد التي يريد تصويرها وإيصالها إلى المتلقي في شكل صور ولوحات فنية متخيلة ، وهكذا يتحول فن الرسم في رواية حائط المبكى إلى بنية فاعلة تحس وكأنه عنصر من العناصر الأساسية للبنية السردية .

وفي ختام هذه الدراسة يمكن أن نستشف أهم **النتائج** المتوصل إليها من خلال تحليل رواية "حائط المبكى" لعز الدين جلاوجي فيما يلي :

أبانت رواية حائط المبكى عن سماتها الحداثية التجريبية شكلا ومضمونا.

انزاحت الرواية عن اعتيادية الرؤية والتشكيل القديم من خلال تضمينها لفن الرسم الذي أعطى للرواية جمالية على مستويات متعددة .

إن حضور فن الرسم في الرواية لم يكن موضوعاتيا وحسب، بل إن آثاره الفنية امتدت إلى معجم الرواية فانزاحت اللغة السردية عن أساليب البلاغة والإنشاء ومصطلحات الواقع والسرد واقتربت من الرسم والتصوير كما هو تماما في مشاهد الرواية التي أصبحت تصويرية بعد أن كانت وصفية وتارة حوارية . انتصر الكاتب للفن عبر كل فصول الرواية، فكانت دعوة صارخة إلى تمثل الفن لأن الفن سر خلاص البشرية من الصراعات والحروب .

السعي إلى تقويض الأجناس الأدبية المعهودة باختراق فضاءات وعوالم غير أدبية بغية توليد أشكال روائية تواكب الراهن والتطورات الحاصلة في كافة المجالات .

اغترفت الرواية من فن الرسم وآلياته وأساليبه وكذا أعلامه، حيث ورد ذكر العديد من الرسامين وتجلت مظاهر تأثر الكاتب بهم من خلال عرض تفاصيل فن الرسم أو ميزة الفنان التشكيلي الذي عشق فن الرسم حتى النخاع.

عمل عز الدين جلاوجي على تضمين روايته بمجموعة من اللوحات الفنية العالمية المشهورة مثل جدارية الغورنيكا لبابلو بيكاسو ومنمنمة الجزائري عمر راسم .... وغيرها، وقد أثبتت القراءة التحليلية للوحات أنها تشترك في دلالة واحدة وهي الثورة على الواقع والدعوة إلى السلام ورفض كل أنواع الجريمة.

وردت شخصيات روائية محبة للفن التشكيلي أو هاوية له، وهي دلالات على الارتباط الوجداني بين المبدع والفنان بحثا

عن مستويات التوافق والانسجام الذي لن يتأتى إذا بقيت المقولات الفنية حبيسة القوقعة الشكلية المقدسة.

كشف هذا التوظيف عن وجود نوع من الحوارية بين الرواية وفن الرسم .

تحمل الرواية من التأثير والدلالة الإيحائية لما هو سردي مع ما هو وصفي، مما يمنحها خاصية التصوير السينمائي بقدرتها التأثيرية، التي تتيح للقارئ متعة المشاهدة التخييلية لمجرى الأحداث وفضاءاتها التي تزيد من مصداقية الأحداث.

التعليقات والشروح :

المنمنمات: ويقصد بها الزخرفة والنقش والزينة، والمنمنمة جمعها منمنمات معناها التصاوير الدقيقة التي تزين صفحة أو بعض صفحة من كتاب مخطوط : انظر *قاموس المنجد في اللغة والإعلام* ،(1986 م)دار المشرق، بيروت ، مادة (ن،م،ن،م) ، ص 838 .

جدارية الغورنيكا : تؤرخ هذه اللوحة لظهور الفن التكعيبي حيث ظهرت مدرسة التكعيبية من خلالي" لوحة بيكاسو Picasso الشهيرة آنسات آفنيونDemoiselle dAvignon خلال شتاء 1906 – 1907 ":

حنا نهى وطنوس يوسف، الفنون(الموسوعة الثقافية العامة)،دار الجيل، بيروت ، لبنان .

قائمة المراجع :

أولا – المراجع باللغة العربية:

– بعيو نورة.(27–28– 29 أفريل2015) ، الرواية تخترق نسقها، أعمال الملتقى الدولي الثامن في الأدب المقارن، الممارسة الأدبية عند العرب والدرس المقارن، جامعة باجي مختار – عنابة– .
–بشير خلف، الفنون لغة الوجدان، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.
–حسين حسين خالد،(د،ت) ، في نظرية العنوان مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق.
–جلاوجي عز الدين، (2017) ، حائط المبكى، دار المنتهى للنشر والتوزيع، الجزائر .
–صالح صلاح،(2003)، سرديات الرواية العربية المعاصرة، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر.
–صدوق نور الدين،(1994)، البداية في النص الروائي، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا.
– كلود عبيد، الفن التشكيلي،(2005)، نقد الإبداع وإبداع النقد، ط1 ، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان.
– عزيز ماضي شكري،(2008)، أنماط الرواية العربية الجديدة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ع355، سبتمبر.
– عليان أحمد محمد،(2000)، جدلية العلاقة بين الفلسفة والأدب،ط1،دار المنهل اللبناني، لبنان .
– بوشوشة بن جمعة، (2003)، التجريب وارتحالات السرد الروائي المغاربي، ط1، المغاربية للنشر، تونس .
–لشكر حسن،(د،ت)، الرواية العربية والفنون السمعية البصرية، مجلة العربية، المملكة العربية السعودية، الرياض .
–ماري شيفر جون،(1997)،ما الجنس الأدبي؟ ترجمة غسان السيد،اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
–مرتاض عبد المالك،(1998) في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة .
–تومي هشام ، التجريب في رواية حائط المبكى للأديب عز الدين جلاوجي ، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها ، ج2 ، العدد الثالث عشر، جانفي 2018.
–وارين أوستين ويليك ورينيه ، (1987)، نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، لبنان.

ثانيا – المراجع باللغة الأجنبية:

–J. M. sheffer , (1986) : du texte au genre in théorie des seuil, paris